

الختمة

لقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على تاريخ مادبا وجوارها خلال حقبات زمنية متعاقبة، ورصد طبيعة الأحداث التي عاشتها هذه المنطقة وتحليلها، وذلك من مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ويستنتج من خلال استعراض مجريات الأحداث والوقائع التي تطرقت إليها الدراسة، أن منطقة مادبا وجوارها قد مثلت إحدى مراكز القوى الاجتماعية والاقتصادية والحضرية المهمة في منطقة شرقي الأردن منذ العهود القديمة مروراً بالعهود الإسلامية، ثم وصولاً إلى التاريخ المعاصر. فقد توطنت فيها الكثير من القبائل والعشائر العربية المهاجرة. وجعلتها مُستقراً دائماً لها، وقد برز على صعيد العلاقات الاجتماعية والسكانية بين مختلف أنماط الجماعات والأهالي والمهاجرين إليها، أن طبيعة العلاقة السائدة بين هذه الجماعات عبّرت عن روح وقيم التآخي، وذلك على الرغم من وجود بعض مظاهر النزاعات القبلية وغير القبلية، فضلاً عن التنوع الديني (الإسلامي والمسيحي) الذي كان سائداً فيها، ولا يزال إلى اليوم.

كما أن هذا الواقع الاجتماعي ساهم في تشكيل معطيات إيجابية كبيرة كان لها دور في خلق فضاء إنساني وأهلي ووطني رحب وواسع من التناغم والاندماج الاجتماعي والثقافي والسكاني، لأن الجميع أدركوا بأنهم في هذه المنطقة ينتمون إلى مصائر تاريخية وقومية ووطنية واحدة. وقد ساهم هذا الواقع في ترسيخ وتأکید الدور الكبير الذي بقيت تلعبه مادبا وجوارها في التاريخ الأردني الحديث والمعاصر، وهي بالحرى لا تزال تلعبه إلى اليوم.

كما أن الدراسة كشفت عن المديات الكبيرة ذات الخصوصية الوطنية للوعي القومي الذي تشكل لدى أهالي مادبا وجوارها في أواخر العهد العثماني في شرقي الأردن وعهد الإمارة، فضلاً عن العهد الملكي، وبرز هذا الوعي جلياً من خلال الدور الذي لعبه هؤلاء عندما ساهموا بحيوية لافتة في الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة العربية الآسيوية منذ مطلع القرن العشرين، سيما تلك التي كانت تتعلق منها بالدور الاستعماري واتفاقيات التقسيم للمنطقة من قبل بريطانيا وفرنسا، وكان الموقف خاصاً ومتميزاً جداً لأهالي منطقة مادبا وجوارها فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والثورات الفلسطينية والوقوف إلى جانب اللاجئين الفلسطينيين.

وفضلاً عن هذا الوعي القومي الذي برز مبكراً وناضجاً عند أهالي منطقة مادبا وجوارها، فقد أخذ الوعي الوطني يتنامى كبيراً عندهم، لا سيما أن شرقي الأردن شهدت الكثير من الأحداث منذ نشأة الكيانية السياسية المعاصرة في الأردن، فتفاعلوا مع هذه الأحداث ونتائجها تفاعلاً كبيراً، إلى أن أصبحوا عنصراً أساسياً في الحركات والثورات الوطنية التي هدفت إلى إحداث الإصلاح السياسي والاقتصادي والإداري في الأردن، وكثيراً ما كانت حركاتهم ومواقفهم معارضة لسياسات الحكومات المتعاقبة، التي لم تأل جهداً في إجهاض مطالبهم وتحركاتهم.

وعندما حصلت ثورات الربيع العربي، نشطت الحركات السياسية والاجتماعية في الأردن، ترفع شعارات الإصلاح السياسي والاقتصادي ومحاربة الفساد في الدولة الأردنية فقط، كان لأهالي مادبا وجوارها دور كبير - وهو في الواقع لا يزال كذلك إلى الآن - في هذه الحركات، فقد شاركوا فيها مشاركة كبيرة، وكانت ثقافتهم الوطنية منسجمة تماماً مع وعيهم المتزايد بضرورة إعادة بناء أسس جديدة للدولة الأردنية، من شأنها أن تدشن عهداً جديداً من التقدم والازدهار.